# إشكالية التجنيس والتصنيف في القصص الشعبي
# قصص الشمال الغربي الجزائري- أنموذجا

د. عائشة واضح / م. ج: أحمد زبانة - غليزان

**الملخص:**

تسعى هذه الورقة العلمية إلى معالجة فوضى تحديد مصطلح القصص الشعبي من خلال متن الدراسة[1] الذي تم جمعه بشمال الغرب الجزائري، بالإضافة إلى إبراز الصعوبات التي تواجه الباحثين والدارسين في مجال تصنيف هذا النوع السردي الشعبي الذي لايزال عرضة للتشويش والاضطراب من خلال عرض أهم وأبرز التصنيفات العالمية ،العربية والجزائرية على وجه الخصوص.

أما خطة البحث فتم تقسيمها إلى: إشكالية التجنيس- القصص الشعبي- نشأته- إشكالية تصنيفه.

**إشكالية التجنيس:**

لم يكن الانسان يحلم عبر أطوار مسيرته، أن تصبح ما تحتفظ به ذاكرته من قصص وحكايات شعبية، أن يأتي يوم عليها لتصبح مادة علمية وحقلا سرديا، يخضع للبحث والدراسة والتنقيب من مختلف الزوايا وبشتى المناهج.

ولقد كان من نتائج الاهتمام بهذا الحقل السردي، أن بذلت محاولات عديدة لتحديد هذا اللون من ألوان التعبير الشفهي الشعبي[2]، حيث تطرح قضية التجنيس على المحك باعتبارها نوعا مفتوحا متمردا، فنجده يتعرض مثل باقي الحقول البحثية لظاهرة التشويش والاضطراب في تداول المصطلح وتوظيفه لدى معظم الدارسين- العرب خصوصا. وأهم تلك الإشكاليات المطروحة هي إشكالية ضبط الحدود ، وعليه نطرح التساؤلات التالية: ما هو المصطلح الذي أجمع عليه معظم الدارسين في هذا الحقل؟ وما هي الفروقات التي نلمسها في استعماله؟ وما سبب هذا الاختلاف والتباين؟ ما هي أهم التصنيفات العالمية والعربية لهذا الحقل؟

يعترف عز الدين اسماعيل بأن «مشكلة المصطلح ما تزال هي مشكلة العلوم الإنسانية التي تتسع مجالاتها مع الزمن وتتداخل»[3] ، وها هي نبيلة ابراهيم تستشعر بسبب الخلط

الحاصل بين مصطلح «الحكاية الشعبية» الذي يقصد به القصص الشعبي إطلاقا ، ومصطلح «الحكاية الشعبية» الدال على نوع سردي شعبي محدد، ضرورة تسمية كل نوع من أنواع هذا السرد بمصطلح يختص به ويميزه عن سائر الأنواع الأخرى، اعتبارا لانفراد كل منها بتحديد خاص لا يختلط بغيره[4]. حيث نجد العديد من الباحثين في هذا الميدان قد اتخذوا من مصطلح «الحكاية الشعبية»[5] دلالة على كل الأنماط القصصية الشعبية، والذي بدوره يستعمله آخرين للدلالة على الحكاية ذات الطابع الواقعي أو الاجتماعي[6]. كما نلاحظ ازدواجية في تسمية قصص البطولة، فأحيانا تسمى بـ «السير الشعبية»[7] وأحايين أخرى نجدها تنفرد بمصطلح «قصص البطولة»[8].

ولعلنا نذكر بعض الأسباب المؤدية لبروز هذه الظاهرة ، منها[9]:

1- طبيعة الاختلاف المميزة لحقل العلوم الإنسانية، ا لتي يصعب مع صفة النسبية التي تميزها، ادعاء الحقيقة من منظور أح ادي، لاسيما إذا تعلق الأمر بعملية استنبات لمفاهيم ومصطلحات توصيفية منقولة عن لغات أجنبية مختلفة في طبيعتها وخصوصيتها عن اللغة العربية.

2- - عدم استجابة الإبداع الشعبي للحرفية والإحكام ولا الخضوع للاتجاه على وفق ما رسمه د. عبد الحميد يونس في كتابه الرائد «الحكاية الشعبية «، مما يسلب الباحث إمكانية الضبط الدقيق لثوابته والقدرة على حصر محدداته أو تعليل اختيار مصطلحاته.

وفي خضّم هذا الاختلاف والفوضى في الجهاز المفاهيمي للمصطلح، يجد الباحث عناء في ولوج هذا الميدان ومواجهة هذا الاضطراب، رغم ما بذل من مجهودات في ضبط وتوحيد المصطلحات، وهي خطوة لابد منها حتى يتيسر بعد ذلك إلى تصنيف هذه المادة العلمية وفق معايير محددة، والأنسب في هذه الحالة أن نورد رأي الباحث «مصطفى يعلى» الذي يرى باعتماد مصطلح «القصص الشعبي» بدلا من مصطلح «الحكاية الشعبية» الملتبس وذلك لازدواجية الدلالة في المصطلح الثاني، وتوقا لتقريب الشقة بين القصص الشعبي والقصص الرسمي، من حيث الاشتراك في مصطلح القصص الموحي بما يتوفر في النمطان من عناصر تخييلية وجمالية عالية[10]، إضافة إلى شيوع هذا المصطلح بين معظم الباحثين العرب ناهيك عن معيار المقارنة مع المصطلح اللاتيني «Conte Populaire» الذي يعني القصة الشعبية تحديدا[11]، وهو ما اعتمدناه في دراساتنا السابقة[12].

وعلى الرغم من هذا التشابه والتداخل الذي تعاني منه هذه الأنواع السردية الشفهية، فإنه يدل على غزارة التراث القصصي العربي وتنوعه ومكانته.

**القصص الشعبي:**

ننطلق من مفهوم أحد المفكرين الإنجليز الذي يعرف القصة الشعبية فيقول: «القصص وإن كانت ضربا من المبالغة في شكلها الظاهر، لكنها من ذلك النوع الذي نرضخ له دون أي تردد، ومن ذلك النوع الذي يريح دون جهد، مزيحا كل مشاكلنا الجسدية... أنها ذلك النوع الذي تمنحه خيالا حاضرا، في حين أن تنوعها يبقى التوق والتوقع متجددين»[13].

ولاشك أن صاحب هذا القول يلفت انتباهنا إلى أنه من العناصر الأساسية التي لا غنى عنها في القصة الشعبية، هي كل من عنصر التشويق والخيال والمبالغة، وأنها تقوم بمنح المتلقي الراحة النفسية التي يحتاج إليها بعد عناء اليوم، لكننا ترى بهذا أنه قد حصر وظيفتها في الجانب النفسي وأهمل الوظائف الأخرى.

ويرى عبد الحميد يونس أن القصة الشعبية تعني «المصطلح» الذي يستوعب ذلك الحشد الهائل من السرد القصصي الذي تراكم على الأجيال، والذي ليس وقفا على جماعة دون أخرى، ولا يغلب على عصر دون آخر[14]. فهي المرآة التي تتجلى فيها صور الماضي المتصلة بأحداث وأفكار تعاقبت عليها الأجيال، بالإضافة إلى أنها تصور واقع الفرد في جميع مراحل الحياة الاجتماعية.

أما «نبيلة ابراهيم»، فترى أنها «قصة ينسجها الخيال الشعبي حول حدث مهم، وأن هذه القصة يستمتع الشعب بروايتها والاستماع إليها إلى درجة أنه يستقبلها جيلا بعد جيل عن طريق الرواية الشفوية»[15]، سواء أكان هذا الحدث يدخل في نطاق أوسع يشمل الشعب بأسره[16]... فالقصة الشعبية تعد من النوع الخاص بالبطولة أو القصص البطولي الذي يمجد بطولة بطل بوصفه ممثلا لأسرة أو قبيلة ووارث بطولتها ومجدها[17]. فالباحثة بهذا ترى أن عنصر التشويق أمر أساسي في القصة الشعبية، باعتباره المحبب لدى الانسان، زيادة عن أنها من إنتاج مخيلته، لكنها حصرتها في القصة البطولية التي هي نمط من أنماطها، فأين حظ الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية من القصص الشعبي؟

ويذكر الأستاذ «اسماعيل عبد الفتاح» في معرض تناوله لتعريف القصة الشعبية، أنها قصص ينسجها الخيال حول حدث تاريخي لشعب من الشعوب، ولا بد للقصة من مؤلف

بدأها أول مرة، ولكنها لم تكن تعبيرا عن تجربة عاطفية ذاتية، بل هي تعبير عن مشاعر الجماعة، وتمتد روايتها شفويا، وقد يحصل عليها تغيير بالزيادة والنقصان[18]. فالباحث هنا يشير إلى العلاقة التي تربط القصة الشعبية بالتاريخ، فهي علاقة تداخل، وعلاقة تكامل، كل يتمم الآخر، وعلاقة تأثير وتأثر، تظهر دور الانسان في صناعة التاريخ والقصة الشعبية، إلا أنه حصر أحداثها في الجانب التاريخي وأهمل بقية الجوانب، وهو ما اتفق ورأي الباحثة «نبيلة ابراهيم».

وإلى جانب ذلك كله، نجد الباحثة «روزلين ليلى قريش» تعتبر القصة الشعبية مرادفة للأدب الشعبي، وأنها تتنوع وفقا لأهداف ثلاثة بوجه عام: تمجيد أفعال الأجداد، والتداول الفني للأساطير القديمة، والتسجيل الواقعي لأحداث الحياة اليومية[19]، وهي بهذا نوعت في القصة الشعبية وفقا لأنماطها الثلاثة المشهورة: القصة البطولية، الحكاية الخرافية، الحكاية الشعبية، إلا أنها اعتبرت القصة الشعبية مرادفة للأدب الشعبي، وهو ما نراه بعيدا عن الصواب، لأن الأدب الشعبي يتضمن العادات والتقاليد والمعتقدات والشعر الشعبي والأمثال الشعبية وغيرها، بالإضافة إلى القصة الشعبية التي تعتبر أحد فروعه.

وجليّ من مجموع التعريفات أنه قد تم الاتفاق على أن القصة الشعبية تحمل العناصر التالية:

- أنها من نسج الخيال، تعبر عن رأي الجماعة وتطلعاتها وهمومها، تتناقل شفاهيا جيلا بعد جيل، ذات ارتباط شديد بالجانب التاريخي.

- إلا أنهم اختلفوا في تنوع أحداثها ووظائفها والأهداف المرجوة منها.

ومجمل القول أن القصة الشعبية هي الحكاية البسيطة في سردها، من نسج الخيال تتناقل شفهيا جيلا بعد جيل، من أجل بلوغ غايات وأهداف متعددة، تدور موضوعاتها حول أحداث مختلفة، ويؤدي الخيال فيها دورا مهما، تعبّر عن ماضي الشعب وحاضره ومستقبله، وهي بصمة كل مجتمع وهويته التي تميزه عن غيره من المجتمعات.

**نشأة القصص الشعبي:**

منذ البدء نطرح السؤال التالي، متى ظهرت القصة الشعبية؟

يكاد يكون الجواب مستحيلا، خاصة إذا حاولنا ربط ظهورها بتاريخ معين، لكنه يكاد

يجمع الباحثون على أن نشأتها ارتبطت بوجود الانسان على سطح الأرض وقدرته على النطق والتعبير، فقد كانت ومازالت تساير ركب التطور، وتعبر بصدق عن البيئة الشعبية وما يحيط بها من ظروف مختلفة منذ ظهور الانسانية إلى يومنا هذا.

فالإنسان يمتلك في نطقه أداة وحيدة لتسجيل الحوادث التي عاشها الانسان البدائي والتي لم يكن في إمكانه إدراك كنهها، وأطلق لخياله العنان ليفكر ويبدع، وكانت لغته بسيطة جدا مبنية على الصور الخيالية، فكان يخلق حياة في كل ما يسميه من جماد ونبات وكواكب جاعلا لها أحاسيس ومشاعر[20]... وهكذا أصبحت هذه الظواهر الطبيعية تنتج فواجع فضائية من تصور هذا الانسان[21]، وكانت الأساطير[22] تتفجر بطبيعة الحال من هذه المخيلة الخصبة.

إذن يظهر لنا بجلاء أن البداية كانت مع «الأسطورة»، وهي بذلك المنبع الأصلي للقصة الشعبية، ثم تدخلت عوامل أخرى أدت بالقصة إلى التغير والتطور، فأخذت أشكالا أخرى مرتبطة بنقل الحوادث التاريخية، ومآثر الأجداد وبطولاتهم التي خلدت لوحات فنية يتغنى بها التاريخ.

ولقد كانت القصة الشعبية ولفترة غير قصيرة معتصمة بالواقع لا تتجاوزه، وبذلك اقترنت بالتاريخ أو أصبحت مرادفة له، لأن القصاص يبتكر متتبعا الأحداث الماضية والشخصيات التاريخية[23] وهي تعني بذلك أنها كانت تحاكي ما مضى من أحداث بالإضافة إلى التصاقها بالواقع وتغلغلها فيه، وهذا لا يعني حصرها في هذين الزمنين، بل نمت وتطورت وأصبحت تعني كل الأنواع السردية القصصية على اختلاف أنواعها ومضامينها فقد مثلت الصورة الغزيرة لذاكرة الانسان عبر الأزمنة المتعاقبة.

ويرى «بروب» أن القصة في بداية الأمر كانت ذات طابع فلسفي، فيقول: «في العقد الأخير من هذا القرن، لم تنتشر إلا أشياء قليلة حولها، فالبيبليوغرافية كانت عبارة عن نصوص نشرت من قبل... والمؤلفات العامة كانت نادرة نسبيا إن وجدت أصلا، وكانت تتسم بطابع الهواية الفلسفية في كثير من الأحيان، وكانت مجردة من الدقة العلمية، تذكرنا بالأعمال التي قام بها فلاسفة الطبيعة في القرن الماضي، في حين أننا في حاجة إلى ملاحظات وتحليلات والوصول إلى نتائج دقيقة[24]. وأيا كان الأمر فبداية القصة مرتبطة بظهور الانسان الأول على سطح البسيطة منذ أقدم العصور، تستمد تصوراتها من مراحل حضارية وتاريخية

وثقافية مختلفة، ولكن رغم هذا تبقى مرتبطة أيضا بحياة الناس الواقعية رغم التحليقات الخيالية في العوالم المجهولة والعجيبة والساحرة»[25].

وفي هذه المرحلة كان لا يزال ينظر إلى القصة الشعبية والتراث الشعبي عامة نظرة ازدراء تحط من قيمته الفنية والجمالية، وهو ما عكس جهلا حقيقيا به، إذ يمثل جزءا من الموروث الحضاري لأمتنا.

أما الاهتمام بالقصة الشعبية، فقد بدأ في أروبا في القرن الثامن عشر ، حيث كانت ألمانيا صاحبة السبق في ذلك، فقد اهتم «الأخوان جريم» Les Frères Grimm بجمع القصص الشعبي الألماني الأصيل، ثم أخذا في تعريفه وتحديده، بعد أن خشيا من أن تؤدي الموجة الامبريالية إلى تغيير معالم الشعب الألماني وخصائصه[26]، لقد أرادا نشر القصص بشكلها الأصلي، فجمعا روايات الفلاحين الهيسيسيين Hessois، وقد كانا يهدفان إلى تدوين السير الشعبية قبل تلاشيها، وكانا يشعران أنهما يؤديان خدمة وطنية، حيث أنهما تصديا للحفاظ على الكنوز الألمانية[27]، و»تعتبر أعمالهما الأساس لدراسة القصص الشعبية، وقد جعلا من هذه الأخيرة زادا لا للشعب الألماني فحسب، بل للعالم كله»[28].

وفي فرنسا ارتبطت الدراسات الانثروبولوجيا- التي يجعلها الباحثون الفرنسيون في مقدمة الدراسات الشعبية- بالاستعمار الفرنسي، فاستعمار الفرنسيين لبعض دول افريقيا بصفة خاصة، دفعهم إلى دراسة أحوال الشعوب الافريقية، ثم أدرك الباحثون أن اهتمامهم بالفولكلور الأجنبي يفوق اهتمامها بالفولكلور الفرنسي نفسه. ولهذا فقد زاد الاهتمام منذ سنوات بإنشاء مركز خاص بجمع الفولكلور الفرنسي وحده وتنظيمه[29].

لقد اهتم الباحثون العرب بدراسة فنون التراث الشعبي، وكان ابن خلدون أول من لفت الأنظار إلى أدب اللهجات الدارجة من الموشحات والأزجال، التي كثرت في زمانه في الأندلس كما جمع مقتطفات من أشعار السير الشعبية، وخاصة السيرة الهلالية[30].

وفي القرن التاسع وضع «محمد عياد الطنطاوي» و»إلياس بن بقطر السيوطي» كتابا في العامية المصرية، ونشرا نماذجا من الحكايات الشعبية، تحت عنوان «الحكايات العامية»[31]، ثم تلتها أعمال الدكتور فؤاد حسنين علي، حيث أصدر كتاب تحت عنوان «قصصنا الشعبي» عام 1947[32].

ونذكر في هذ السياق الباحث «فايز الغول» من فلسطين الذي أصدر سلسلة كتابه «الدنيا حكايات» المكوّن من ثلاثة أجزاء، والذي عرض فيه قصصا شعبية خرافية معروفة بأسلوب عربي بليغ، قبل سنة 1948، وإن تأخر نشره إلى هذا التاريخ[33]. ثم ظهرت بعض الأعمال الجادة كالرسائل والمجلات العلمية بالمشرق العربي على يد من لهم السبق في ذلك، أمثال: سهير القلماوي، عبد الحميد يونس، أحمد رشدي صالح (مصر)، علي محمد عبده ومحمد أحمد شهاب (اليمن)، وغيرهم من رواد هذا الحقل الخصب، ثم تلتها موجة بحث في المغرب العربي على يد عثمان الكعاك (تونس)، عبد الحميد بورايو (الجزائر) مصطفى يعلى (المغرب).

**إشكالية التصنيف:**

إذا ما استعرضنا خارطة الأدب الشعبي سنجد أن القصص الشعبي أبرز وأهم معلم من معالمها الكبرى، ذلك لأنه يرتكز أساسا على ما أنتجته مخيلة الشعوب، فقد خلدت الأفراد لوحات فنية خالدة في مجرى التاريخ، تعبّر من خلالها عن همومها وأحلامها وآمالها ومخاوفها وانتصاراتها وبطولاتها.

يتميز القصص الشعبي بالكثرة والتنوع وهو ما جعله يعاني من الاضطراب في عملية التصنيف لتشعبه وكثرة جزئياته وتفاصيله، وعدم اتفاق الدارسين والباحثين حول المبادئ الرئيسية المعتمدة في هذه العملية، «فالتصنيف الصائب هو احدى الخطوات الأولى في الوصف العلمي، كما أن دقة الدراسة اللاحقة رهينة بدقة التصنيف»[34]. وعليه فما هي التصنيفات الغربية والعربية التي طرحت بشدة على مستوى القصص الشعبي؟

**1- التصنيفات الغربية: أهمها:**

*** تصنيف أنتي أرني:**

نظام التصنيف الدولي، الذي اجترحه العالم الفنلندي آنتي آرني Antti Arny في كتابه الشهير « فهرست أنماط أو طرز الحكايات الشعبية»The Type Index of Folktales « المنشور سنة 1910 ويعد من أهم التصنيفات التي حظيت بشهرة واسعة حوى كتابه 2411 نمطا قصصيا، فضلا عن قائمة ضخمة من المراجع، وأمام كل مرجع الأنماط الخاصة به، والموجودة في التصنيف[35] يقوم هذا التصنيف على حصر الأنماط القصصية قدر الامكان، وتحليل كل نمط إلى موتيفاته معطيا لكل تلخيص رقما يميزه، وفقا لأسلوب التصنيف الذي يعتمد أولا على تحديد طبيعة الحكايات طبقا لمحتواها الموضوعي ثم ترقيمها بعد

ذلك تحت الباب الذي تنتمي إليه.....، ويعتمد التبويب في الأغلب الأعم على شخصيات الحكاية لا على طبيعة الأحداث، وتحمل الحكايات مع هذا الفهرس أرقاما يشير إليها دارسوا الحكايات الشعبية في دراستهم لنمط معين من أنماط هذه الحكايات[36].

ومن بين هذه الانتقادات الموجهة لهذا التصنيف اقتصاره على الحكايات الهندوأوروبية، فضلا عن قصور في الفهرس، ذلك أن الشخصية تتغير من مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى، ولكن الحدث يمكن أن يكون هو الجامع بينها، على الرغم من اختلافها تبعا لمجتمعها وثقافتها التي نشأت فيها وهذا ما يجعل التصنيف في رأيي بعيد عن الدقة والشمولية.

***تصنيف ستيث تومسون:**

يعتبر هذا التصنيف هو الآخر من أشهر التصنيفات العالمية التي يحتاج إليها كل باحث في هذا المجال، فقد راجع واستكمل عمل العالم الفلندي «أنتي أرني»، يقوم هذا التصنيف على محاولة إيجاز مادة التراث المروي للعالم بأجمعه، تلك المادة التي انهمرت من جميع العالم المتمدن، ونتيجة لهذه المادة الضخمة برز التشابه في جزئيات القصص أكثر مما برز في القصص نفسها، وعليه أصبح التصنيف يقوم على الموتيف الذي يشكل الأساس المشترك في تصنيف مادة الأدب الشعبي العالمي[37]، وقد أسفر التصنيف على ما يلي: حكايات الحيوانات الحكايات الخرافية، الحكايات الدينية، الحكايات الخيالية حكايات اللصوص وقطاع الطرق حكايات العفريت المخدوع، نكت وحكايات هزلية، حكايات هزلية عن الرهبان، حكايات الأكاذيب حكايات المغامرات، حكايات الحيل والخداع، حكايات غير مصنفة.

ويهدف تومسون إلى ترتيب العناصر التي تكوّن التراث الأدبي المروي، وفي تصنيف منطقي واحد، فالقصص التي تشكل جزءا من الموروث، سواء الشفاهية أو ذات الطابع الأدبي، تجد مكانها في التصنيف، فالقصة الشعبية والأسطورة والأغنية الشعبية والخرافة ورومانسيات العصور الوسطى، والعبر والفكاهات وغيرها كل ذلك يرد في التصنيف سواء أكان شعبيا أم أدبيا مادام يشكل موروثا حقيقيا[38].

***تصنيف فريدريش فون دير لاين:**

لقد أولى الباحث الفولكلوري «فريدريش» عناية خاصة بالمميزات الشكلية للقصص الشعبي، واعتبرها خصائص ثابتة يمكن اعتمادها كأساس لتصنيف المادة القصصية، حيث يقول: «هذا الإحساس بالشكل أي السعي وراء نظام محدد في التفصيلات يخضع لقواعد

محددة، ولا يشمل الحكاية الخرافية وحدها، وإنما يشمل كل الأنماط الشعبية الأخرى، والذي حدد شكل الحكاية الخرافية أو أرغم أدباءها المشهورين في عالم الأدب أو غيرهم من المجهولين في الأوساط الشعبية، كما أرغم القصص جميعا أن يخضعوا لهذه القواعد»[39]. لقد اهتم دير لاين بالجانب الشكلي على أهميته وأقصى المحتوى، وهو ما يجعل مثل هذه التصنيفات الأحادية النظرة في رأي قاصرة عن الخروج بنتائج دقيقة في هذه الدراسات العلمية.

**2- التصنيفات العربية:**

***تصنيف محمد السعيدي[40]:**

لقد ذكر الأستاذ «السعيدي محمد» عند تنظيره للحكي الشعبي في الثقافة الشعبية بالجزائر هو الآخر تصنيفين، نعتقد أنهما وجهان لعملة واحدة، هي التصنيف حسب الموضوع، وهما:

التصنيف الأول: يعتمد العناصر الداخلية المختلفة كالأبطال والخوارق والجن والحيوان.

التصنيف الثاني: يعتمد العنصر الموضوعات كالحب والاخلاص والكراهية، وباعتماد المحاور الكبرى للنصوص الشعبية، من ذات النزعة الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية.

ولأن هذه التصنيفات ذاتية وغير ثابتة في نظره، فقد اعتمد تصنيفا يرتكز على ما سماه بالتقاطع النصي، وهو تصنيف أثمره التناص الجنسي أو تقاطع جنس الحكاية الشعبية مع أشكال التعبير الشعبي الأخرى، كاللغز والمثل والنكتة، وقد أسفر هذا التقاطع على ظهور نصوص مختلفة امتدت معطياتها الشكلية والدلالية من هذا التناقض الجنسي، فظهرت نصوص حكائية مسلية، ونصوص حكائية شعرية ونصوص لغزية ونصوص حكاية نكتية.

***تصنيف عبد الحميد يونس:**

أورد الباحث في تصنيفه الأنماط التالية: حكاية الحيوان، حكاية الجان، السيرة الشعبية، حكايات الشطار، الحكايات المرحة، الحكايات الاجتماعية، حكايات الألغاز، حكايات الأمثال[41].

لقد جمع الأستاذ «عبد الحميد يونس» في تصنيفه كل من حكايات الحيوان وحكايات الجان، معتمدا على الشخصيات التي تستقى من الخرافات، كما اعتمد على الواقع المعيش فيما يخصّ الحكايات الاجتماعية، واهتم بالجانب المرح والترفيهي في كل من حكايات

الشطار المرحة، والألغاز، لكنه أهمل الجانب البطولي والمتمثل في الحكايات البطولية ضمن هذا النمط من أنماط الأدب الشعبي.

***تصنيف نبيلة ابراهيم:**

أما الأستاذة «نبيلة إبراهيم» فتورد الأنماط الحكائية التالية: حكاية الواقع الأخلاقي حكاية الواقع الاجتماعي، حكاية الواقع السياسي، حكايات العالم الغيبي، حكايات المعتقدات الحكايات الهزلية[42].

من خلال ما تقدم نجد أن الأستاذة «نبيلة إبراهيم» اعتمدت في تصنيفها للحكايات على الواقع المعيش، والذي قسمته إلى ثلاث أنواع: حكايات الواقع الأخلاقي وحكايات الواقع الاجتماعي وكذا السياسي، فهي تعكس الوضع السائد بين أفراد المجتمع، بالإضافة إلى عالم الغيب والجن والمعتقدات، ولم تهمل الجانب الهزلي والفكاهي في الحكايات الهزلية. لكنها أوردت القصص البطولي بمعزل كليا عن الحكاية الشعبية، وهذا ما يبدو شاذا نوعا ما في تصنيفها.

***تصنيف روزلين ليلى قريش:**

لقد اعتمدت الباحثة في تصنيفها على ثلاثة عناصر رئيسية[43]:

- حجم القصة الشعبية، حيث راعت سمة الطول والقصر.
- الفكرة الرئيسية التي تدور حولها أحداث القصة.
- الشخصيات التي تحرك أحداث القصة الشعبية.

وكان التقسيم كالتالي: القصص الطويلة والقصص القصيرة.

القصص الطويلة: قصص البطولة- قصص الخرافات الشعبية.

وتنقسم قصص البطولة إلى:

قصص بطولة دينية- قصص بطولية وعظية- البطولة البدوية- وبطولة حديثة.

وتنقسم الخرافات الشعبية إلى:

خرافة دينية- خرافة حول شخصيات غير دينية- خرافة الجن- الخرافات المحلية.

أما القصص القصيرة فتنقسم إلى:

قصص التسلية- قصص التخفيف عن المكبوتات- قصص ذات مغزى.

و لو تمعّنا هذا التصنيف وجدنا على سبيل المثال أن الباحثة ضمنت القصص القصيرة حكايات ذات معنى، وكذلك نجد في القصص الطويلة بعض الحكايات ذات معنى، وهو ما يجعلنا نقول أن هذا التصنيف لا يمكن اعتماده لأن سمة الطول والقصر ليست معيارا في التصنيف.

***تصنيف عبد الحميد بورايو[44]:**

قسم الباحث بورايو القصص الشعبي إلى ثلاثة أنماط رئيسية: الحكاية الشعبية، قصص البطولة، والحكاية الخرافية، وهذه الأنماط تختلف وتتمايز في عناصرها الفنية وموضوعاتها، وبناء شخوصها وأحداثها، ثم قسم الحكاية الشعبية إلى: حكاية الواقع الاجتماعي الحكايات المحلية، وقسم قصص البطولة إلى: البطولة البدوية قصص الأولياء، قصص الزهاد، قصص الخارجين عن القانون، قصص الثوار، ثم قسم الحكاية الخرافية إلى: الحكاية الخرافية الخالصة، حكايات الأغوال الغيبية.

نعتقد أن الباحث عبد الحميد بورايو قد وفق إلى حد كبير في تصنيفه للقصص الشعبي، حيث راعى فيه الخصائص الشكلية دون أن يعزل المحتوى، فقد جمع كل الأشكال في الأنماط الرئيسية الثلاث، إلا أنه فيما يخص الأنماط الفرعية فنجده ضمن الحكاية الشعبية حكايات محلية، غير أننا نجد هذا النوع أيضا في قصص البطولة والمتمثل في قصص الأولياء وقصص الثوار.

كما نلمح غياب القصص القرآني من قصص البطولة رغم وجودها على الميدان بكثرة.

وقد انتهجت في تصنيفي للقصص الشعبي من خلال المدونة التي تم جمعها بمنطقة الشمال الغربي الجزائري نهج الباحث عبد الحميد بورايو في تقسيمه للأنماط الثلاثة: قصص البطولة، القصص الخرافية والحكاية الشعبية، إلا أنني غيرت في تقسيم الأنماط الفرعية، فقسمت قصص البطولة إلى: قصة البطولة القدسية، قصة البطولة البدوية، قصة البطولة الحديثة، وقسمت البطولة القدسية بدورها إلى: القصص القرآني المغازي، قصص الأولياء، وقسمت القصة الخرافية إلى: قصص الجن والسحر وقصص الغيلان. ثم قسمت الحكاية الشعبية إلى: قصص الواقع المعيش، قصص الحيوان، القصة المرحة.

إن ما يمكن أن نختم به هذا البحث هو أنه من بين الأسباب هذا الاضطراب والاختلاف

الحاصل في تصنيف مادة القصص الشعبي يعود إلى ما يلي[45]:

1- قلة المادة الشعبية السردية الجزائرية المجموعة والمدونة، ومن هاته القلة القليلة لمجموعة والمدونة من قصصنا الشعبي الجزائري ما لا يتعدى مناطق جزائرية بعينها ، لا تعكس في مجملها إلا أجزاء باهتة من إبداع وخيال الإنسان الشعبي الجزائري.

2- تأبى مطابعنا وقبلها الهيئات الوصية ، إلا أن تكرس الرداءة في أدبنا الجزائري عندما تولي اهتماما لتجارب الأفراد ولوعتهم ولهفتهم وأنينهم وسقمهم في عوالم الحب والهيام ، وتتغاضى عن تجارب الشعوب وآلامها وأحلامها وآمالها ومعتقداتها وطقوسها وفنونها وإبداعاتها التواقة أبدا إلى الأصالة والبطولة والحكمة الصائبة والمثل الرشيد ، وقصصها الشعبي المفعم على الدوام بالمحبة والفضيلة والأدب الإنساني الرحب الرفيع .

وهو ما يدعونا للقول بضرورة طبع كل ما أنتج في ميدان هذا النوع من السرد الشعبي من دراسات وبحوث جادة، يمكن أن تنير درب سالكي هذا المجال المعرفي، وللمحافظة على ما جادت به قريحة الشعب الجزائري من إبداعات فنية- نثرية وشعرية- تحمل مبادئ وقيم سامية يعتز بها الفرد الجزائري.

غير أننا لا نعدم وجود نهضة نوعية في الآونة الأخيرة من خلال الدراسات والبحوث الأكاديمية التي انكب عليها طلبتنا في ميدان الأدب الشعبي، بعدما كاد يندثر مع مرور السنين.

**هوامش الدراسة:**

**1** - عائشة واضح، المرأة في قصص البطولة- دراسة تحليلية لنماذج من شمال الغرب الجزائري، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، جامعة أبو بكر بلفايد- تلمسان **-2015 2016.**

**2** - يراجع بالتفصيل. العبيدي علي أحمد محمد ، الحكاية الشعبية الموصلية بين وحدة التجنيس وتعدد الأنماط، دراسات موصلية، ع**26**، مركز دراسات الموصل، **2009.**

**3** - علي أحمد محمد العبيدي، الحكاية الشعبية الموصلية بين وحدة التجنيس وتعدد الأنماط، دراسات موصلية، ع**26**، شعبان **1430**/ آب **2009**، ص**79.**

**4** - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

**5** - يراجع بالتفصيل. يونس عبد الحميد ، الحكاية الشعبية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، **1968.**

الساريسي عمر، الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني، دراسة ونصوص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان **1980.**

الأسود نزار، الحكايات الشعبية الشامية، ط **2**، مطبعة خالد بن الوليد، د م، **2003.**

**6** - يراجع بالتفصيل، بورايو عبد الحميد، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، الجزائر، **2000.**

يعلى مصطفى، القصص الشعبي بالمغرب، دراسة مورفولوجية، المدارس، الدار البيضاء، المغرب، **2001.**

**7** - يونس عبد الحميد، المرجع السابق، ص**57.**

**8** - ينظر: بورايو عبد الحميد، المرجع السابق، ص**68.**

ابراهيم نبيلة، البطولة في القصص الشعبي، دار المعارف سلسلة كتابك، القاهرة، مصر، **1977**، ص**20.**

قريش روزلين ليلى ، القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، **2007**، ص**111.**

**Jean-Pierre Bayard, Histoire des légendes, Presse universitaire française, Paris, 1970, P11.**

**9** - علي أحمد محمد العبيدي، الحكاية الشعبية الموصلية بين وحدة التجنيس وتعدد الأنماط، مرجع سابق، ص**78.**

**10** - يعلى مصطفى، القصص الشعبي بالمغرب، مرجع سابق، ص**-44 45.**

**11** - أبو شنب عادل، كان يا مكان، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، **1972**، ص**103**، ص**106.**

**12** - ينظر، واضح عائشة ، القصص الشعبي في منطقة غليزان- جمع ودراسة، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الشعبي، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، **2007/ 2008.**

وعائشة واضح، المرأة في قصص البطولة- دراسة تحليلية لنماذج من شمال الغرب الجزائري، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، جامعة أبو بكر بلفايد- تلمسان 2015/2014.

13 - الموسوي محسن جاسم ، ألف ليلة وليلة في الغرب، سل الموسوعة الصغيرة رقم 92، دار الجاحظ للنشر، بغداد، العراق، مارس 1981، ص84.

14 - يونس عبد الحميد ، الحكاية الشعبية، مرجع سابق، ص11.

15 - ابراهيم نبيلة ، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط3، دار مكتبة غريب للطباعة، القاهرة، د ت، ص119.

16 - المرجع نفسه، ص92.

17 - نفسه، ص93.

18 - عبد الكافي اسماعيل عبد الفتاح، القصص وحكايات البطولة، دراسة علمية وتحليلية ونقدية، مركز الاسكندرية للكتاب، مصر، 2008، ص48.

19 - قريش روزلين ليلى، القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، مرجع سابق، ص91.

20 - - La Grande Encyclopédie- Article de René SAMUEL « Conte «Tome XII, Paris s.d P775.

21 - خان محمد عبد المعيد، الأساطير العربية قبل الاسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1957، ص101.

22 - المرجع نفسه، ص11.

23 - يونس عبد الحميد، الحكاية الشعبية، مرجع سابق، ص6.

24 - Vladimir Propp, Morphologie du conte, Traduction de Marguerite Dérida et autres, Poétique Seuil, Paris, 1965- 1970, P 9- 10.

25 - السعيدي محمد، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص72.

26 - ذهني محمود، الأدب الشعبي العربي- مفهومه ومضمونه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1992، ص32.

وينظر. ابراهيم نبيلة، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، المكتبة الأكاديمية، مصر، 1994، ص13.

27 - Fernand Mossé Nelle, Histoire de la littérature Allemande. Edition, Paris, Aubier, 1970, P555- 557.

28 - سرحان نمر، أغانينا الشعبية في الضفة الغربية من الأردن، جمعية المطابع التعاونية، عمان، الأردن،

(د.ت)، ص8.

29 - ابراهيم نبيلة، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص14.

30 - ينظر، ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، الموشحات والأزجال للأندلس، القاهرة، مصر، (د ت)، ص583.

31 - الطنطاوي محمد عياد (1810)، الحكايات العامة المصرية، السيوطي إلياس بن بقطر (1784-1821).

32 - علي فؤاد حسنين، قصصنا الشعبي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1947.

33 - ينظر، أبو الرب توفيق، دراسات في الفولكلور الأردني، منشورات وزارة الثقافة والشباب، عمان، الأردن 1980، ص 59.

34 - فلاديمير بروب، مورفولوجية الخرافة، تر. إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، 1986، ص. 21. و للوقوف على هذه الأمثلة من التصنيفات العربية، يمكن الرجوع إلى النماذج التالية :

طحان سمير، الحكواتي الحلبي ـ حكايات شعبية للأطفال، دار الشورى، بيروت، لبنان، 1980.

بلعمري رابح، الوردة الحمراء ـ قصص شعبية من شرق الجزائر، المنشورات الجامعية والعلمية، باريس، 1983.

الساريسي عمر، الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني، مرجع سابق.الجمل عبد الفتاح، حكايات شعبية من مصر، دار الفتى العربي، بيروت، لبنان، 1985.

دكيّال منير، حكايات دمشقية، مطابع ابن خلدون، 1987.

الطيب عبد الله، الأحاجي السودانية، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، 1990.محبك أحمد زياد، حكايات شعبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1999.

الأسود نزار، الحكايات الشعبية الشامية، مطبعة خالد بن الوليد، 2003.

إسماعيل عز الدين، القصص الشعبي بالسودان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د ت).

35 - A. Aarne, the type of the folktale- A classification and Bibliography (translated and enlarged by S, Thompson), second révision, Helsinki, 1981.

36 - ويطلق عليها أيضا لفظ الجزئية أو التيمة، وهي أصغر عنصر يمكن أن يشكل الأساس المشترك في تصنيف مادة الأدب الشعبي العالمي، كما أنها العناصر المكونة للقصة الشعبية والتي تظل تلازمها.

37 - S. Thompson, Motif- Index of folk- literature, 1-6, Volume 1, Copenhagen Bloomington, 1955-1958, P9.

38 - S. Thompson, Motif- Index of folk- literature, volume 1, p10.

39 - فريدريش فون دير لاين، الحكاية الخرافية، تر. ابراهيم نبيلة ، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، 1965، ص125.
40 - السعيدي محمد، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص62.
41 - يونس عبد الحميد، الحكاية الشعبية، مرجع سابق، ص43.
42 - ابراهيم نبيلة، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مرجع سابق، ص119.
43 - قريش روزلين ليلى، القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، مرجع سابق، ص107.
44 - ينظر، بورايو عبد الحميد، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، مرجع سابق، ص 67- 68.
والأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص 87- 88.
45 - ناصر عبد العزيز، إشكالية تصنيف القصص الشعبي الجزائري http://al-marsa.ahlamonta-da.net/t1648- topic#ixzz48YVwJxTw